الرافدين

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد السابع – السنة الثانية 1990

الفوانيس

موسوعة فصلية مصورة تعنى بالاثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

الكوفة
Kufa Academy

أكاديمية الكوفة

هولنده

Kufa Academy

مداعبات نجفية ...

لا يأنس النجفي بشيء من متاع الدنيا كما يأنس للندوات الأدبية التي كانت تنعقد في النجف بين حين وآخر ، فيجتمع إليها الشعراء ، ليتعاطوا الشعر على أقداح من الشاي الحلو والقهوة العربية المرة أو دعوة (طبيخ ماش) أو (سمك الحرش) و(سمك أبو خريزه) أو (الباچه) أو(الهريسة) وينشأوا أبياتاً رقيقة من الشعر ، بمناسبة ساذجة أو بغير مناسبة ، ويتحامل بعضهم على بعض ، ويسخر منه ، في كلام رقيق ، وصفاء ، لا يشعر بحقد ، وسذاجة ، تشبه سذاجة الأطفال ، حتى تنحل الندوة وقد قضوا سويعات سعيدة فيها الشعر الجميل ، وأنشدوا فيها الرقيق من النظم وتعاطوا هذا الشعر المرتجل الذي يجري على ألسنتهم من غير كلفة ، وافرغوا في بطونهم شيئاً من هذا المائع والجامد التي يُدار عليهم .

وفي هذه الندوات سلوة للروح ، وترويح عن النفس ، وغذاء للفكر ، وفيها يجد الشعراء مجالاً خصباً للمباراة الشعرية ، والناشئون مدرسة للتدريب ولتنمية مواهبهم الشعرية .

وانعقاد هذه الأندية ، بهذه البساطة المتناهية ، والسذاجة ، وما يشيع فيها من الصفاء والخفة ، من خصائص مدرسة النجف وهذه نماذج مما يجري في الأندية النجفية من المداعبات :

● قرئت في ناد من أندية النجف قصيدة المرحوم السيد محمد سعيد الحبوبي الموشحة التي قالها في زفاف أحد أصدقائه فطرب لها الحاضرون حتى إذا بلغ المنشد إلى قوله :

قد شرب الخمر لكن كلُماك ما رأت عيني ولا ذاق فمي

فقام أحد المستمعين إلى المرحوم الحبوبي وكان حاضر المجلس وقال له : أسألك يا سيدي عن (قد) ماذا تفيد في الكلام ؟ فقال له رحمه الله (قد) إذا دخلت على الماضي أفادت التحقيق ، ولكن لم أشربها وحق جدي . . .

فضحك الحاضرون واستحسنوا سرعة التفاته إلى غرض السائل المداعب .

● ضمت إحدى الأندية النجفية نفراً من فطاحل الأدب والشعر كالمرحوم السيد محمد سعيد الحبوبي والمرحوم الشيخ محمد حسن كبه والمرحوم الشيخ جعفر الشرقي وغيرهم . ولم تدر بينهم أقداح القهوة حتى حمي وطيس المحاورات الأدبية فأنشأ السيد الحبوبي مرتجلاً في القهوة مخاطباً ساقيها بقوله :

فدع عني السلافة ليس شيء ... اعلّ لعلّتي من شرب قهوة
أدرها واسقنيها لا دهاقاً ... ولكن حسوة من بعد حسوة

فعارضه المرحوم الشيخ محمد حسن كبه مفنداً رأيه ومرتجلاً بقوله :

فواعجباً لمثلك أريحياً ... يشفّ لطافة ويروق صبوه
يبيع سلاف ريقتها المصفى ... بآجن مرّة تدعى بقهوه
على أن السلاف وما عداها ... فمن كرم لتعطى الروح نشوه
وتلك وويل تلك ومن حساها ... تزيد ملالة وتزيل نبوه
هلم نحكّم الخرّيت فينا ... فذاك السيف لا تعروه نبوه

وقد قصدَ بالخريت الشيخ جعفر الشرقي فانتقض الشيخ كالأسد وأبدى حكمه مرتجلاً بقوله :

عجبت وأنتما ماء وخمر ... قد استرضعتما درّ الأخوه
فكيف يبين بينكما خلاف ... بشرب سلافة راقت وقهوه
عذرتكما عليه وكلّ صبّ ... تميل به لمن يصيبه صبوه
أجل والشرك في المحبوب شرك ... أبته غيرة حمدت ونخوه
ولكني إذا حكمتماني ... سعيت لذاك بين صفا ومروه
فإن تكن السلافة فهي روح ... وجدت لروحها فرحاً ونشوه
وإن تك قهوة بالمسك فاحت ... فمن يده وإن مرة لحلوه
وما ذهب السواد لها بشيء ... فإن الخال زاد الخد حظوه

وهكذا انفضّ عقد ذلك المجلس والكل مرتاحون بتلك الأريحية والأدب السامي .

● اشتهرت مرة في الأوساط النجفية أبيات لأحد شعراء الهند المستعربين في النجف يقول فيها :

إذا زفت عروس نحو عريس ... تشوش فكرتي وتجن بالي
وإن جلست على الكرسي يوماً ... تهب الريح من طرف الشمال

فسمع بها العلامة السيد رضا الهندي فذيّلها بقوله :

لقد زعموا بأن به خيوطاً ... وقد صدقوا ولكن كالحبال

والخيوط هنا اصطلاح عامي مشهور يقال لمن يصاب بلوثة في عقله .

● اتفق للمرحوم الشيخ عبود الطريحي أنه كان حاملاً كمية من الخيار في عباءته أيام شهر تموز الحارة في النجف فصادفه أحد أصدقائه فسأله عما يخبئه في عباءته فأجاب مرتجلاً :

قد ذاب قلبي من هوى تموز ... من حرّه قد جفّ ماء الكوز

في السوق رقيّ ولكن مفلس بزّدته بخيارة العطروز

● استأجر الحاج عبود الحاج جواد الصائغ النجفي داراً بدمشق ، فعقد محفلاً لإستقبال المهنئين حضره نخبة من وجوه القوم ، وبهذه المناسبة أنشد الخطيب الشيخ أحمد الوائلي مرتجلاً :

دار عبود بقعة نجفيّة حفلت بالأخلاق والأريحيّه
هي رغم الحجم المصغّر فيها خلق واسع ونفس رضيّه
والغنى في الأشياء فرع غنى النفس وهذي قضية بدهيّه
رب نفس على سخاء عظيم ولو أن الأيام غير سخيه
رملة للغري شعّت على الشام فأضفت ملاحماً علويه
حملت (لابن هند) في شخص (عبود) على رغمه رؤىً حيدريه
دار (عبود) في مواسم (أهل البيت) تزدان بكرة وعشيه
وبها (ابن الجواد) شيء لطيف كل ما فيه تحفة أثريه
فتقبل يا (صائغ) التبر هذا الرصف من صائغ الحروف البهيه
وإذا ماذكرت يوماً فقلّد خنصري من (محابس) عبقرية

فحركت الأبيات أريحية الشيخ محمد الجواد السهلاني فأنشد قائلاً :

دارك (عبود) غدت مقصداً يؤمها الحاضر والبادي
دارك بالعلياء معروفة أساسها الفضل بأوتاد
بُوركت فيها من أخٍ فاضل يحلو بكم مدحي وإنشادي
قد كنت فينا علماً في الندى برغم أعداء وحساد
والمرء في أفعاله خالدُ تزكو بأولاد وأحفاد

ثم قام السيد عامر الحلو فقال :

دارك يا(عبود) دار الهنا قد نلتَ فيها المرتجى والمنى
دار لأهل البيت فيها هوىً وذكرهم صار بها مُعلنا
أضحت بهم في الشام مزدانه فاهنأ بها فيّاضة بالسنا
وأسلم لخلّان الوفا صاحباً ودم لإخوان الصفا محسنا

●أسس ثلة من الأدباء الشباب في النجف تجمعاً أدبياً حمل اسم «أسرة الأدب اليقظ» واشتهر أمرهم جداً في الأربعينيات والخمسينيات من هذا القرن وكان من أعضائها النشطين «مصطفى جمال الدين ـ محمد بحر العلوم ـ جميل حيدر ـ محمد صادق القاموسي ـ محمد حسين بحر العلوم ـ عبد الحسين الحجار ـ صالح الظالمي ـ محمد الهجري وغيرهم» وبرغم من أن النشاط الأدبي الحافل الذي قامت به هذه الجماعة لم يكتب عنه ـ حتى الآن ـ إلاّ أن الكثير من

نوادرهم تروى على الألسنة إشادة بحركتهم المتميزة وروحيتهم المحبّة للمغامرة والمزاح البريء ، وكان مما اشتهر عنهم «القصيدة النغلة» التي يتبارى في نظمها أفراد الأسرة جميعهم ، ومن ذلك قصيدة نظموها مداعبة وملاطفة وترحيب بزميلهم المرحوم محمد صادق القاموسي عندما رجع من الحج ، وكان مطلعها :

«أتينا نزف التهنئات إلى الحجي» ، وإليك ما سمعته منها :

أخا الفضل قل لي كيف (دعبلك) التقى ... إلى بلدٍ وعر السليقة معوج
وقد كان عهدي أن ذوقك دوحة ... تعاصت أعاليها على ثورة (العج)
واحسبك اعتدت (الرضيّ) وشعره ... فأغراك أن تحظى بأغيد ذي غنج
ولكنك استقبلت أوجه معشر ... أجل رواء منهم جلدة (الخرج)
فاخفقت في مسعاك بالخيف من منى ... وقد كان أولى أن تزور (علي الشرجي)
لقد حجّ من أهليك صيد ثلاثة ... وساروا جميعاً في وضوح من النهج
فلم يصنعوا في الدردنيل لحاهم ... فرنسية أو يلبسوا زي افرنجي
ولم يطلبوا في زحلة كل كاعب ... تخدّر أعصاب الرجال بلا بنج
ولم تر عيني قبل يومك (حجياً) ... أراق ثواب الحج في ساحة البرج
ولم يبق للحجاج أرخت (سكة ... كذا فليكن عقبى فسادك ياحجي)